

تساؤلات ضمير مضطرب

سلبوا الوعي مني
ونقشوا الوهم في رأسي
غرسوا الخوف في قلبي
والعيب في عيني
وعلموني أصول درسي

علموني
كيف أرى طلائع الغد
في أطلال أمسي
وأصنع من الرماد مجداً
كان في أمس منسي
أعيش الوهم
كأن الوهم حسي
أومن بالجن
وأشك في الأنس

علموني
كيف أرى في عتمة الليل
إشراقه شمسي
تغمرنى الرهبة يوم فرحي
والطمأنينة يوم بؤسي

سعيداً يوم موتي
وحزيناً يوم عرسي
أنظر في عيون حبيبتي
خائفاً من الإثم
والعيب
مطأطئ الرأس

علموني
كيف أرتضى الظلم
وأرى سعادتي
في قناعة نفسي
وخلصني من عذاب القبر
في إطاعة أولي الأمر
في الهم أصيحُ
وفي الغم أمسى

علموني
أشياءً كثيرةً
وملئوا بالخرافات رأسي
ما غاب عني من تعاويد
وطلاسم لم يُدرکها حسي
وحفظت أنا الشاطر
كالبغاء درسي
ولم أعد أعرف من التاريخ
سوى أمجاد أمسي

أغرقوني في بحور الوهم
وباعوني بثمن بخس
نسيت حبيبتي وأمي
ونسيت نفسي

أقنعوني بأن أقتل أعدائي
وأفجر في الطرقات نفسي
أموت في سبيل الوطن
وما هو من الحجارة قدسي
طمأنوني بأن جنازتي
هي مراسم عرسي
تزفني في خشوع
لما تشتهي العين
يتوق له القلب
وتتمناه نفسي

وحين أشعلتُ الفتيل
تمزق جسدي إرباً إرباً
تطايرت أشلائي في الهواء
وغابت عن البيت شمسي

لم يكن هناك فرح
رقص أو طرب
ولا إكليل ورد
يظلل رأس حبيبتي

ورأسي
سوى نعوشٍ كثيرةً
لم يكن من بينها نعشي

وعلتُ وجوهَ الأحبةِ سحابةً حزن
ابتسامهً ساخرةً حائرةً
دموعٌ تصرخ بلا همس
حلم تحطم قبل موتي
على عتبة الأقدار
على يد الأحبار
في لحظة خوف ويأس
تركت خلفي أما حزينة
وحبيبةً باكية
تنتظر شموع الفرح
وحلاوة العرس

وغدت أشراقة الفجر
سواداً دامساً كعتمة الأمس
وأحلامٌ حبيبتني أشباحاً مُخيفة
وحنان أمي دموعاً حارقة
وأصبحت أنا الموعود مفقوداً
صورةً مُمزقةً على حائطٍ منسي
نسي من علموني تعاويذ درسي

أن لا شيء أعلى من العمر
ولا أسمى من الحب قدسي
ولا شيء في الحياة
غير اليأس والأمل
دموع الحزن والفرح
ونبضات العشق حسي

فيا رب هل عدلوا
حين خدروني
وقادوني إلى الموت مختلاً
رافعَ الرأس
وهل تغفر لي ذنوبي
وما اقترفتُ من ظلم بحق نفسي
وما تركت لأمي وحييتي
من بؤس على بؤس